

الشيخ باقر بري

فن النصيحة

في ضوء القرآن والسنة النبوية

منتورات المجمع الإسلامي الثقافي

الطبعة الأولى

م 2021

© جميع الحقوق محفوظة

منشورات المجمع الإسلامي الثقافي

ديربورن - ديترويت - ميشيغين

الولايات المتحدة الأمريكية

ت: 584-2570 (313)

www.iiokonline.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَأَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّحِيَّاتِ
عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ الْمُتَجَبِّينَ

المحتويات

- 11 مقدّمة
- 13 ما هي النصيحة؟
- 15 هل التناصح فريضة؟!
- 17 النصيحةُ بابٌ من أبواب الأمر بالمعروف
- 19 النصيحة شعار المؤمن
- 21 دواعي النصح
- 23 لمن تكون النصيحة، وما هي فوائدها؟
- 25 درس في قصّة
- 29 التناصح في المجتمعات غير الإسلامية
- 31 الدين النصيحة
- 35 كيف تنصح الناس؟
- 35 أ- قدّم النصيحة للآخر كما لو أنها لنفسك
- 36 ب- توخّ اللطف في تأدية النصيحة
- 39 ت- أخلص للمنصوح له
- 40 ث- انصح بالفعل المؤثّر والقذوة الحسنة

- ج- استخدم الأسلوب غير المباشر 42
- ح- افتح حواراً ودياً 43
- خ- الانتصاح بما تنصح 44
- د- الإسرار في النصيحة 45
- ذ- إذا أردت أن تنصح فابدأ بالإيجابيات 46
- ر- لا يجب أن تكون النصيحة بحثاً عن العيوب 48
- ز- الاختصار في النصيحة 49
- تقبّل النصيحة 52
- من هم الناصحون؟ 54
- 1- النفس 54
- 2- الوالدان الباران 55
- 3- الصديق الصالح 57
- 4- الأقارب 57
- 5- العلماء 59
- 6- الخصوم 60
- 7- الكتاب 61

- 8- المستشار الموثوق 62
- 9- السفهاء والحمقى والجهلة 62
- 10- الزمان 63
- 11- القرآن المجيد 64
- 12- العقل 67
- لماذا لا يجب بعضنا الناصحين؟! 69
- أولاً، أسباب نفسية 69
- ثانياً، أسباب يذكرها القرآن 71
- ادّخار النصيحة 74

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدَمَةٌ

تبياناً لِعِظَمِ درجةِ المؤمنِ الذي يمشي بالنصيحة بين خلقِ الله؛ يُشيعها، وَيَهْدِيهَا، وَيُقَدِّمُهَا حيثُ الحاجةُ إليها، رُوِيَ عن رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قوله: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنْزِلَةَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْشَاهُمْ فِي أَرْضِهِ بِالنَّصِيحَةِ لَخَلْقِهِ»⁽¹⁾.

والمشَاءُ بالنصيحة هو الذي يدور بها إلى حيثُ الحاجةُ إليها، كما يدور الطبيبُ السَّيَّارُ بطبِّهِ، عائداً مرضاه والمحتاجين إلى العلاج والدواء.

وانطلاقاً من هذه القيمة الكبيرة، يأمرُ الإسلامُ بالتناصح بين الناس، أي أن ينصح بعضهم بعضاً، ليساهموا جميعاً في تصحيح مسارهم الحياتي، استيحاءً مِنْ (واقْتِدَاءً ب) مقولة الحديث الشريف: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽²⁾.

(1) بحار الأنوار. المجلسي، ج 71، ص 358.

(2) صحيح البخاري. رقم 2409.

بل إنَّ الإسلامَ يريد من الفرد المؤمن أن يداوم على ممارسة هذا الفعل الإنساني والحضاريِّ الراقي، بحيث يكون منهاجَه في الحياة، فيسعى لإصلاح الفساد، أو الخلل، أو العيب، أو الخطأ الذي قد يقع فيه الآخرون، ويلفت نظرهم ويساعدهم على التصحيح والإصلاح، ويقدم لهم التوجيه المناسب والنصيحة التي تساعدهم في انتخاب الخيار الأصحَّ والأصلح لحلِّ مشاكلهم. عندئذٍ يرقى هذا المؤمن عند الله تعالى، ويرفع الله درجته في الدنيا والآخرة. والتناصح -بصفته تفاعلاً- فريضةٌ، بمعنى الحاجة المجتمعيَّة الماسَّة إليه، لا أنه فريضة مبتدعة أو مقحمة على سائر الفرائض، خاصَّةً وأنَّ التناصح فرعٌ لأصل، بل لأُمِّ الفرائض وهي (فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وما كان في أصله فريضةً، ففرعُه فريضةً، لأنَّ الأصلَ تتبعه الفروعُ.

وإذا خرجنا قليلاً من المنظور الديني البحت، إلى المنظور الدنيوي فلن ييخَسَ ذلك من أهمية النصيحة وقيمتها. ففي مدرسة الحياة، لا يمكن لأحدٍ أن يستغنيَ عن النصيحة سواء أكانت مقدَّمةً كهديَّة، أم مطلوبةً كحاجةٍ. لا المعلمُ الناصح، ولا التلميذ المنصوح في غنى عنها، لأنها حاجةٌ أساسيَّة، تشمل جميع الفئات والشرائح والأعمار والأجيال، نستكملُّ بها ثقافتنا، ونُغني تجربتنا، ونُثري عقولنا، وننيرُ دروبنا.

يحتاج الشاب إلى اختيار شريكة حياةٍ صالحةٍ، فتأتي النصيحةُ لتقول له باللغة النبوية التي تجري فيها الحكمةُ مجرى الكلمات: «عليك بذات الدين تربت يداك»⁽¹⁾، وتحتاج الفتاةُ الى شريك حياةٍ صالح، فنضيءُ لها النصيحةُ الطريق: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»⁽²⁾.

وتحتاج في مشروعك التسويقي الذي تريده ناجحاً راجحاً الى مُعينٍ يُعينك على أفضل الأماكن، فتتهفُّ بك النصيحة «إبتغوا الرزق عند تزامم الأقدام»⁽³⁾.

وقد تحشى مخاطر ومزالق السياسة، فتُهرع الى النصيحة تستنجد بها، فتقول لك بكل إخلاص: «أثبت الناس رأياً، من لم يغرّه الناس من نفسه، ولم تغرّه الدنيا بتشويقاتها»⁽⁴⁾.

وقد تتردد في الإقدام على عمل ما تتهيب منه، فتتهيب بك النصيحة أن أقدم «إذا هبتَ أمراً فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه»⁽⁵⁾.

(1) صحيح مسلم، حديث رقم 2753.

(2) رواه الترمذي برقم 1084.

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفاء، وقيل هو أثر وليس حديثاً.

(4) ميزان الحكمة. محمد الريشهري، ج 2، ص 1025.

(5) نهج البلاغة، قصار الحكم.

وربما تخاف عواقب عمل تسعى الى الانخراط فيه، فإذا بالنصيحة
الرشيدة الحميدة تقول لك: «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك
رشدًا فامضه، وإن يك غيًا فانتِه عنه!»⁽¹⁾.

بهذه المثابة، تكون النصيحة حاضرة بقوة في مفاصل حياتنا:
ملاذًا آمنًا، وخارطة طريق، ومصباح هداية، ومفتاحًا للعمل.
ولمّا كانت النصيحة جديرةً بالعناية والاهتمام، ومؤثرةً
الى هذا الحدّ، كان لا بدّ من معرفتها أكثر، من خلال قواعدها
وأحكامها، وتطبيقاتها ومجالات حركتها، وفوائدها وإيجابياتها.
فهي ككلّ شيءٍ مهمّ لا يأتي خبطَ عشواء، بل له منطقته الخاص
الذي تتفرّع على ساقه الأساليب والطرق.
من هنا يجيء هذا الكتاب كدليلٍ إلى ذلك كلّ.
والله وليّ التوفيق.

(1) الكافي، الكليني، ج 8. ص 150.

ما هي النصيحة؟

النصيحةُ - بحسب الاصطلاح، وفي السياق الذي نحن بصدده، هي الدعوة لما فيه الصلاح والنهي عمّا فيه الفساد. فهي، إذًا، تعبيرٌ عن إرادة الخير للمنصوح له، لأنّ النصح هو أن تدلّ الشخص على الخير، وتسدي له التوجيه والإرشاد الذي فيه خلاصه من الشوائب والعيوب، ومساعدته على رفع المكدرات والمشاكل والمهموم، والرسو على الخيار الصحيح.

والناصح - في بعض معانيه اللغوية - هو (الخيّاط) لأنّ أصلَ النصح الملائمة بين شيئين وإصلاح لهما، تماما كما يفعل الخيّاط الذي يُصلح الملابس، فكأنّ الناصح يخيّط أو يُرمم العلاقة المتصدعة المتداعية، ويرتق فتقها، ويُصلح شأنها، لتعود صالحة كما كانت. أو أنه يقترح استبدال الثوب البالي المهلهل المتهرى، بأخر جديد أكثر لياقة.

والنصيحةُ - لغةً - مشتقة من نصَحَ العسل: أي صفّاه وأخرج منه شوائبه. ومعنى نصَحَ له القول: صفّاه وأخلصه له، ولم يغشّه، فشَبَّهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط والشوائب، وترتيباً على ذلك، فالنصح هو تخليص الشيء الملوّث من الشوائب التي ذهبت بصفائه. فكأنّ الذي يقدم النصح لا يحاول

أن يخلّص المنصوح من الشوائب التي علفت به أو بجاله، كما يُخلّصُ
العسلُ من الشمع والشوائب التي علفت به، وحسب، بل يُعسل
ويُجلي حياة المنصوح بجلاوة نصيحته!

ومع أن النصيحة مصطلح قرآني، وقد وردت في الحديث
الشريف أيضا «إنما الدينُ النصيحة» إلا أنها لم تكن شائعة بهذا
اللفظ شيوعها اليوم، فقد كان مرادفها المتداول (الوعظ)، حيث
يأتي الرجل فيقول للنبي (ص) طالبا النصيحة «عظني يا رسول الله»
أو الى أحد الأئمة، فيسأله النصيحة قائلا «عظني يا بن رسول الله»،
وهذا ما المح اليه الامام الصادق (ع) بقوله «من وعظ أخاه سرا فقد
زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه» أي نصحه.

النصيحةُ بابٌ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنَّ النَّصِيحَ - في جوهره - بابٌ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)⁽¹⁾.

فالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ - في أروع صور تلاحمهم وولايتهم بعضهم لبعض - متكافلون، متناصرون، متناصحون ينصح بعضهم بعضاً، ويهتمون بشؤون ومصالح إخوانهم، ويتواصون بالحق ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وأما رحمةُ الله لعباده المترتبة جزاءً على نُصح المتناصحين - كما في الآية الكريمة - فوعدٌ صدقٌ، وحقٌّ منه سبحانه وتعالى.

وبتحقق فعل التناصح في المجتمع وقيام الجميع به، مع الالتزام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصولها كلها، يرقى الفرد ويرقى المجتمع، وترقى الأمة جمعاء برقيتهما.

(1) سورة التوبة، 71.

ويمكن الذهاب أبعد من ذلك، والقول بأن التناصح سبب
وشرط أساس لخيرية الأمة التي تمارس هذا الدور، كما بين سبحانه
وتعالى في كتابه الكريم في قوله:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)⁽¹⁾.

فمصدر خيرية الأمة، بحسب الآية الشريفة، هو الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر. وبناءً عليه، إذا تخلت الأمة وأفرادها عن هذا
الفعل الإيجابي البناء تفقد خيريتها، وتصبح أمة كسائر الأمم التي
خلقها الله، لا يميّزها شيء وليس لها تلك المكانة العظيمة عند الله
عزّ وجلّ، وهذا هو الذي جعل القرآن يستنكر على بني إسرائيل
أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، ويحذّر المسلمين من أن
يكونوا أشباههم.

(1) سورة آل عمران، 110.

النصيحة شعار المؤمن

بهذا المعنى المفهوميّ القيمّ، فإنّ النصيحة هي شعار الفرد المؤمن، وصفته الأقرب لروحه ومزاجه وخلقه وثقافته، وعنوان سلوكه العام، والذي لا يمشي بالنصيحة بين الناس (يُسديها ويهدبها)، ويتجاهل القيام بهذا الواجب الأخلاقي والديني والانسانيّ، هو إنسانٌ بعيدٌ كلّ البعد عن الممارسة والفهم الصحيحيّن للدين، بل هو كالطبيب اللاأبالي الذي لا يعبأ بمرض مريضه.

وبالتالي، هو إنسان اتّخذ قراراً -عرف ذلك أم لم يعرف- بأن يبقى هامشياً في الحياة! فلا يؤثّر إيجابياً في حياة الناس من حوله، بل قد يفنّد الإحساسَ بالمسؤولية تجاه ما يجري، وقد يغيب عن ذهنه بأن الخلل إذا ما تفشّى في حياة الناس من حوله، ووقف هو مكتوف اليدين مُحجماً عن التدخّل للإصلاح، فقد يسري هذا الخلل إلى بيته وعائلته وحياته!

وهذا يعني أنّ مردودَ النصيحة الإيجابيّ ليس على المنصوحين فقط، بل على الناصحين أيضاً. هم جميعاً يقطفون ثمرتها الحلوة الناضجة الشهية.

يقول سبحانه وتعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْكُمْ خَاصَّةً⁽¹⁾.

من هنا جاءت دعوة الإسلام لكي يعيش الفرد المؤمن حسَّ المسؤولية في المجتمع، بمعنى أن يهتمَّ ويشعرَ بهموم الناس من حوله، ويتفاعل معها، في خدمة أهله ومجتمعه، فيسدي لهم من معرفته ومعرفته وخبراته وخيراته ونصائحه بمقدار ما يستطيع، فيعمّ الخير في المجتمع ويناله نصيبٌ من ذلك الخير.

(1) سورة الأنفال، 25.

دواعي النصح

إنّ من أهم بواعث النصيحة والإقدام عليها هي معدن الناصح الصالح، ونيّته الحسنة تجاه الناس، فهو إنسانٌ يضمّر الخيرَ للآخرين، ويسعى إلى مساعدتهم رغبةً منه في إصلاح أحوالهم. وعلى ذلك فإنّ كلمة النصيحة تُقارب معنى (الإخلاص)، بل تُفسّر به. فما يقابل النصيحة كفعل إيجابيّ هو الغش كفعل سلبيّ.

والإنسان أحدّ اثنين: إمّا ناصح مشفق وإمّا غاشّ مخادع، والغاش ليس من الإسلام في شيء «ليس منّا من غشّ»⁽¹⁾ يُضاف إلى ذلك أنّ الإنسان المسلم الناصح ينطلق في نصحه من مسؤوليته عن أبناء جنسه، وأفراد مجتمعه، فهو يتحرك بوحى دافعين خيرين متلازمين:

* ذاتيّ ينمُّ عن نفسٍ محبّةٍ للخير.

* وموضوعيّ بتقديره حاجة مجتمعه للنصح والتناصح.

إنك حين تنصح الشخص، في الوقت المناسب، فإنك ترشده إلى الرأي والتصرف السديدين.

(1) رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي.

وقد يعني النصح بأن تُبدي له عيوبه التي قد لا يلتفت إليها، لا بقصد المذمة والمنقصة، بل بقصد تنبيهه إلى وجود تلك العيوب ليقوم بإصلاحها، أو أن تدلّه على ما فيه صلاحه ومصالحته، وعلى أصلح خياراته، فترشده بكل إخلاص وصدق ومودة ولا تغشه، فيقال حينئذ لقد محضته النصيحة، أي قدمتها له صافية نقية وخالصة من كل شائبة. وهذه ممارسة أخلاقية جوهرية من أجل وأرقى الممارسات الإسلامية الحميدة. وهي - كما أكدنا - تنطلق من روحية الناصح الطيبة، وحبّه ورأفته بمن حوله، ورغبته في إيصال الخير ودفع الشرّ والمكروه عنهم. ولذلك فهي تعكس قلباً سليماً، ونفساً زكيةً، وشعوراً غيرياً.

ولا ترتبط النصيحة بالعلاقات الثنائية البينية، والاستشارات الشخصية فحسب، فقد تستطيع ان تنصح على مستوى المجتمع ككل، وقد تستطيع من خلال عملك ووظيفتك تأدية هذا الدور. فقد يمتلك الناصح تخصصاً أو مهارة أو معرفة معينة يستطيع من خلالها نصح المجتمع ومساعدته على التخلص من بعض مشاكله أو جهله، وقد يكون صاحبَ قلم وأفكار ومعارفٍ وتخصّص فيكتب ويخطب ويوجّه ويُعلّم ويبثُّ معلوماته المفيدة في المجتمع. وقد يكون صاحبَ مالٍ أو أعمالٍ فيساهم في نصيحة المجتمع من خلال سعيه ومساهمته في رفع شوائبه الاقتصادية وتخليصه من حالات البطالة

والعوز والفقر ومن كل ما من شأنه عرقلة مسار التنمية والازدهار.
في الرواية عن الامام علي (ع): «مُناصِحُك مشفقٌ عليك،
مُحسِنٌ إليك، ناظرٌ في عواقبك، مستدرِكٌ فوارطك، ففي طاعته
رشادُك، وفي مخالفتهِ فسادُك»⁽¹⁾ واستدراك الفوارط يعني تجاوز
التفريط والشطط والأخطاء.

(1) ميزان الحكمة. محمد الريشهري، ج 4، ص 3279.

لمن تكون النصيحة، وما هي فوائدها؟

بحسب الحديث الشريف الذي مرَّ بنا في تبيان أعظم الناس منزلةً عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه»، تكون النصيحة هنا لعموم خلق الله؛ لكل إنسان آخر بقطع النظر عن انتمائه أو دينه أو عرقه أو جنسه. فلا فرق في إسداء النصائح بين مسلم وغير مسلم، وبين أبيض وأسود... لأن النصيحة هي فعل إنسان حضاريّ راقٍ، تعكس أخلاق الفرد المؤمن. ومن بعض فوائدها العظيمة على المستوى الإنساني:

1- إنها تشفي غيظ القلوب وتشيع الألفة والمودة بين الفئات المتباعدة من الناس، وقد تعطيك القدرة على استيعاب الخصم فتربح وده! وقد تُذيب الضغينة على مستوى الخلافات الشخصية وتحوّل الخصم الى صديق حميم (ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)⁽¹⁾.

وفي الأثر عن الإمام علي (ع) «المواعظ صِقَالُ النُفُوسِ، وَجِلَاءُ القلوب»⁽²⁾.

(1) سورة فصلت، 34.

(2) جواهر العقول، وصال حمقة، ص 772.

فكما يُصقل السيفُ ليبدو مرهفاً، وتصقل السكين لتكون حادة، وتصقل الواجهات الخشنة لتظهر لامعة مشرقة، وكما يُجلى المعدن من الصدأ، فيبدو براقاً، فإنّ النصائح تُرهِف النفوس وتزيل عنها ما تراكم من غيظ وضغينة وحقد، وما ران من صدأ الأخطاء والعثرات والذنوب، فتبدو جذابة مشرقة.

يقول الشاعر في الإخلاص بالنصيحة:

نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ

عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ

درس في قصة

ومن الذاكرة الشخصية أستلُّ قصةً حدثت مع أحد المعارف. حيث إنه اختلف مع شابٍّ من أصدقائه، وصادف أن هذا الشاب أراد أن يخطب أختاً لصديق آخر له، فاتصل به طالباً المشورة والنصيحة، وقال له: «أعرف أنك على خلاف مع هذا الشاب وقد جاء يطلب التعرّف على اختي بقصد الزواج، وأريد مشورتك ونصيحتك في الأمر، فهل نفسح له بالمجال للتعرّف عليها أم لا؟». هنا أدرك هذا الصديق أن شهادته ستكون حاسمةً، ويمكنه أن ينتقم من خصمه إذا أدلى بنصيحة سلبية بحيث يتم رفض طلبه بالتعرّف على الفتاة. لكنه عوضاً عن ذلك استشعرَ رقابة الله تعالى،

فقرّر أن يكون منصفاً بحقه وناصباً صادقاً، فهو يعرف عن هذا الشاب الكثير من الصفات الحسنة والخصال الحميدة، وموضوع الخلاف معه لا يستحق أن يفسد على هذا الشاب مشروعه بالارتباط. وهكذا قدّم في هذا الشاب شهادةً إيجابيةً ونصّح في فسح المجال له، فتمّ التعارف والزواج.

وحينما عرف الشاب الخاطب بأمر الشهادة الإيجابية بحقه، جاء معتذراً لهذا الصديق عمّا بدر منه في الماضي، لتعود المياه الى مجاريها بين الصديقين، بل لثمتن أكثر فأكثر عُرى الصداقة والمودة والاحترام بينهما.

وهكذا علينا أن نقابل الحقد بالحبّ -كلّما استطعنا- والبغي والظلم بالإنصاف، وألا نترك لغرائزنا أمرَ التحكّم بقراراتنا، يقول سبحانه وتعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ (1).

فالإنصاف والعدل هما أقرب إلى التقوى، والنصيحة المنصفة العادلة هي أقرب إلى روح الإيمان بالله، عن أيّ إنسانٍ صدرت.

(1) سورة المائدة، 8.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمّا علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحق، ويعطي الحق من نفسه، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه، ولا يعتدي على أحد»⁽¹⁾.
إذاً التناصح الدائم ضروريٌّ بين المؤمنين وجميع الناس على مختلف مستوياتهم ومراتبهم، فعليك بإنصاف الآخرين من نفسك، فالنصيحة المخلصة المنصفة مرطبة للأجواء، ومصلحةٌ للعلاقات، ومُذِبةٌ للأحقاد، ومقويةٌ لروابط الأخوة، وعامل من عوامل بناء ونهضة المجتمع.

2- إنها تقلل نسبة الأخطاء، فالذين يدخلون أي مجال أو حقل عملي متسلّحين بالنصيحة، يدخلونه بسلام آمنين. بل يضمنون السلامة -قدر المستطاع- من المزالق والعواقب السيئة والنتائج السلبية. ولذلك يُقال حينما توجد الموعظة والنصيحة، يوجد النور، وهل وقوعنا في الأخطاء أو الخطايا الا بسبب قلة أو انعدام النور؟!
عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «هلك من ليس له حكيم يرشده»⁽²⁾.

(1) بحار الأنوار، المجلسي، ج 1، ص 120.

(2) المصدر السابق، 78 / 159 / 10.

وقيل أيضاً: «من يتبع رأيه الخاص، ولا يأخذ بنصائح الآخرين، عليه أن يتحمّل العواقب وحده»⁽¹⁾.

3- تستبدل النصيحة الصالحة النقد الجارح أو المعنّف، بإشاعة روح النقد السليم والهادف والبناء، بل كلّما ازدادت النصيحة الصادقة المخلصة، وارتفعت نسبة الأخذ بها بجدية ورعاية واهتمام، قلّت أو تقلّصت درجات النقد والطعن الى حد كبير. يقول الامام علي (ع): «من أكثر المشورة (أي طلب النصح) لم يعدم عند الصواب مادحاً، وعند الخطأ عاذراً»⁽²⁾. فهو ناجٍ أو فائز في الحالين.

(1) مثلاً روسي.

(2) جواهر العقول، مصدر سابق.

التناصح في المجتمعات غير الإسلامية

وتزداد أهمية ذلك بالنسبة إلينا، نحن الذين نعيش في خضم مجتمع فيه الكاره العنصري، والمحَبّ الإنساني، والمنفتح المتسامح، والمتعصّب الذي يحمل نظرة سلبية تجاه الاسلام والمسلمين بسبب انتشار الإسلاموفوبيا... فقد نستطيع من خلال الدفع والتي هي أحسن، ومن خلال التحلّي بالخصال الأخلاقية الإسلامية الحميدة وخاصة فضيلة النصح وعدم الغش، أن نساعد في قلب المعادلات وتحويل الأعداء إلى أصدقاء لنا.

إنّ كثيراً من أبنائنا وبناتنا والتجار والعمّال والمتخصصين المسلمين يختلطون ويختلطن في مجالات العمل مع هذا النمط من الناس، وقد يستطيع كل مسلم من خلال مجالته أن يلتزم بتقديم النصح المخلص والمشورة الصادقة لغير المسلمين من خلال ذلك في كسر الحواجز وبناء الجسور وامتصاص حالة (الرهاب) أو التخفيف من حدّتها إزاء الإسلام والمسلمين، فالمسؤولية تقع على عواتقنا في أن نكسر الحواجز في ذواتنا أولاً قبل أن نكسرهما بيننا وبين الآخرين.

فما أجمل نفوس هؤلاء الذين يتقدّمون منا في هذه البلاد من المواطنين ومن غير المسلمين ليقدموا لنا النصيحة الصادقة

المخلصة، وقد حصل معي مرات عدّة، أثناء تبضّعي في المحلات هنا في أميركا، أو في معاملاتي، أن يتقدّم مني شخص لا أعرفه من المواطنين الأمريكيين ويتبرّع بإسداء نصيحة صادقة في ما أودُّ شراءه أو في ما أود القيام به، وكنت أشعر في كلّ مرة بالامتنان والتقدير لمن يقوم بذلك.

وإذا كنا نشعر بكلّ تلك المشاعر تجاه الغريب، فالأولى أن نشعر بمثلها تجاه الصديق الذي يقوم بذلك أيضاً.

علينا الاعتراف بأن العديد من المواطنين في المجتمع الأميركي يتحلّون بهذه الخصلة الرائعة والمؤثّرة، وهم مستعدّون دائماً لتقديم النصيحة الصادقة للآخرين. ومما ينبغي التنويه به أن عادة النصح هي عادة متأصّلة في بنية المجتمع الأميركي، وواحدة من صُورها الإيجابية موضوع تقييم الناس لكلّ بضاعة أو خدمة يحصلون عليها (Reviews). وهي عادة تعكس وجود استعداد كبير لدى المواطنين لتبادل الخبرات وإسداء النصائح بين بعضهم بعضاً في كلّ شيء.

الدين النصيحة

غالباً ما نصادف هنا، في الولايات المتحدة الأمريكية، كثيراً من المواطنين الذين هم على استعداد لكي يقدموا من وقتهم ومن تجربتهم لنصح الناس، فيترعون بتقديم الارشاد والتجربة النصيحة، ويتطوعون لتسجيل ملاحظاتهم وتقييمهم الصادق لأمرٍ من الأمور أو لبضاعة معينة أو لخدمة ما، فينشروها ليستفيد منها الآخرون. وهذا الأمر يتم على مختلف الصعد وفي جميع المجالات، فمن كان يمتلك خبرةً، مثلاً في مجال تعليم الأولاد، يكتب تجربته ويقدم نصائحه، والأم التي ربّت وأعطت نتيجةً حسنةً تعطي نصائحتها لصديقاتها ولعموم أفراد المجتمع، وكذلك المعلم والعامل والخبير... إلخ، فالجميع يعطي نصائحه وخلاصة تجاربه لأقرانه في العمل، والطبيب والمتخصص وحتى الشخص الذي تخلص من عادة صحية مضرّة يعطي نصائحه وخلاصة تجربته للمبتلين بها، وهكذا ترى في مختلف المجالات ثمة من يتبرع دائماً لإسداء النصائح للآخرين، والحديث عن خلاصة التجربة في شأن ما من شؤون الحياة، وهذا دليل عافية وصحة في العلاقات بين أفراد المجتمع.

ولو تصفّحت مواقع الشبكة العنكبوتية، في أي مجال أو عمل حقلّي أو تخصصي أو عام، لرأيت أن هناك جملة من النصائح تُقدّم

لطالبيها، فيقال مثلاً: خمسة نصائح لعلاج العادة الفلانية، أو عشرة نصائح لعلاقة زواج ناجحة أو ثمان نصائح لتربية الشاب المراهق، وهكذا. وأغلبها من وحي تجارب كاتبها أو من خلاصة قراءاتهم للواقع، مما لا يستغني أحدنا عنها في أي شأن من شؤون الحياة.

لذلك فمن باب أولى أن تسود هذه الخصلة الاجتماعية الراقية في المجتمع المؤمن، ونحن نعلم بأن وجود الإسلام في مجتمع ما ينعكس بصورته الصحيحة حين تكون العلائق فيه قائمة على الإخلاص والصفاء والنصح، لا على الغش أو الخداع أو الزور. ولقد أشار الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى هذه المكانية المميزة للنصيحة في المجتمع المسلم حين عرّف الدين -كما روي عنه- بأنه النصح للمسلمين، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة».

قيل: لمن يا رسول الله؟

قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامّتهم»⁽¹⁾.

(1) رواه مسلم في صحيحه، وأخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين

النصيحة، برقم 55.

والمقصود من الحديث، كما لا يخفى على لبيب، أن من أهم شعائر الدين بذل النصيحة للناس عموماً، في جميع المجالات وعلى جميع المستويات كافة طلباً لمرضاة الله عزّ وجلّ وإخلاصاً له، وعملاً بكتابه المجيد بصفته أفضل الموعدة، وأخذاً بنهج وسنة سيد المرسلين (ص) واقتداءً بسيرة الأئمة من أهل بيت النبوة (ع).

وللأسف هناك مجتمعات مسلمة قد تختلّ فيها هذه الشعيرة أو تعطلّ عن عمد أو عن جهل، أو بسبب فساد النظام السياسي الحاكم، فيبخل الناس بإسداء النصح والمشورة لبعضهم لبعض ويخافون من تقديمها لأئمة المسلمين وعامتهم، وقد يعمّ الغش في هكذا مجتمعات فتصبح بعيدة كلّ البعد عن تعاليم الدين الإسلامي. وقد يسأل الكثير من المسلمين سؤالاً إشكالياً يتعلّق بمورد كلامنا هنا، فيتعجّب كيف لا ينزل الله العذاب ببعض الأمم الحاضرة وقد انتشرت في مجتمعاتها المعاصي والموبقات، مع أنه أنزل العذاب والعقاب بعدد من الأمم العاصية في ما مضى؟ وللإجابة عن هذه النقطة الإشكالية، لا بدّ أن نعود إلى القرآن الكريم لنستوحي الإجابة من قوله سبحانه وتعالى:

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ)⁽¹⁾.

(1) سورة هود، 117.

لقد فسّر العديد من العلماء الظلم هنا بالشرك، وجعلوا الباء للسببية، فيكون المعنى بحسب تفسيرهم: فليس من شأن ربك أن يهلك أهل قريةٍ من القرى بسبب كفرهم وحده، مع صلاحهم في تعاطي الحقوق في ما بينهم، وإنما يهلكهم عندما يضمّون إلى الكفرِ الإفسادَ في الأرض، كما أهلك قوم شعيب لشركهم وإنقاصهم المكيال والميزان. أي: لا يُهلكهم شركهم (وأهلها مصلحون) يتناصحون في ما بينهم ويتعاطون الإنصاف، ويتناهون عن المنكر ولا يظلم بعضهم بعضاً، وإنما يُهلكهم إذا تظالموا، وقيل: لا يهلكهم وهم مصلحون في أعمالهم، ولكن يُهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات.

إلى هنا أصبح بوسعنا استنتاج أهمية النصح والصدق والإخلاص في أي مجتمع، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم.

كيف تنصح الناس؟

هناك أمورٌ وقواعد و ضوابط عديدةٌ تنصح النصوص الإسلامية والخبراء بمراعاتها في تأدية النصح بشكله المناسب والصحيح للآخرين، نذكر منها:

أ- قدم النصيحة للآخر كما لو أنها لنفسك:

جاء في الحديث الشريف: «لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»⁽¹⁾.

فالنصح هو أن يحمل الإنسان في قلبه وعقله ولسانه الخير للمنصوح له، ويجب أن يتعاطى معه كأنه يتعاطى مع نفسه، أي بكل موضوعية وبكل رغبة في مصلحته، فيحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها.

كما رُوِيَ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قوله أيضاً: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»⁽²⁾.

(1) الكافي، الكليني، ج 2، ص 208.

(2) رواه البخاري ومسلم في كتاب الإيمان، ص 14.

فالنصح يعني أن تدلَّ الشخص على الخير وأن ترشده إلى الحق، كما كنت ستتصرف بحماسة لو كان الأمر متعلقاً بك. يقول د. دافيد ج. ليبرمان في كتابه (كيف تؤثر في الآخرين): «تذكر أن الحماسة مُعدية. إذا لم تكن متحمساً للفكرة، فإنَّ الشخص الآخر لن يُظهر حماسه لها»⁽¹⁾.

إنَّ مَثَلَ النصيحة كمثَل (المرأة) فكما أنَّ المرأة كاشفة وصریحة وغير مدهانة وليست مجاملة، ترى العيبَ منك فتشير عليك بإصلاحه، ولا تُخبر أحداً يأتي بعدك ليتطلع الى وجهه وهندامه بما رأته منك، فهي صریحة معك تمام الصراحة، لكنها كتومة لا تفشي سرِّك لغيرك! ولذلك ورد في الحديث ان «المؤمن مرآة أخيه المؤمن»⁽²⁾.

ب- تoux اللطف في تأدية النصيحة:

من منَّا لا يرغب في أن تُؤدَّى له النصيحة بطريقة جانبية وبأسلوب هادئ ولطيف وجذاب! لذلك من الضروري تأديتها لغيرنا بنبرة ودِّية وبأسلوب هادئ ورزين ومحَبَّب.

(1) كيف تؤثر في الآخرين ، د. دافيد ج. ليبرمان، ص 111.

(2) الدرر السنبة، الموسوعة الحديثية، الرقم 4917.

وقد أظهرت الدراسات الحديثة بأن تمرير النصيحة بلطف يجعل الناس أكثر انفتاحاً لتقبلها والعمل بها. وإنما اعتبرت بعض النصائح كلسع العقارب، أو كمرّ الدواء، لأن الناصح فكّر في مضمون النصيحة ونسي أسلوب عرضها وتقديمها. وفي هذا الصدد لا يجب أن ننسى بأن الله عزّ وجلّ خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ)⁽¹⁾.

ومع أنّ الرسول الناصح الأمين (ص) «طبيبّ دوّارٍ بطبّه قد أحكم مراهمه» - كما وصفه الإمام عليّ عليه السلام في (نهج البلاغة)⁽²⁾، إلا أنّ الله سبحانه وتعالى يخاطبه ويقول له: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ). لذا لا يمكن تمرير النصح بفظاظة، بل بعناية ورعاية ولطف، تماما كما يفعل الطبيب المشفق بمريضه المحتاج الى الرفق كحاجته الى الدواء.

(1) سورة آل عمران، 159.

(2) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد، ج 7، ص 183.

ولقد شبّه أحد العلماء النصح بالدواء المرّ، وأغلب الدواء المرّ في أيامنا هذه يضعونه في كبسولة، وأحياناً في سائلٍ منكّه، حتى يُمرّر عبر الأفواه دون الشعور بمرارته. ومن هنا فإن اللطف والنبرة الودية هما من المنكّهات، وهما كبسولة النصيحة لكي ننجح بتمريرها إلى أولادنا وأرحامنا وأحبابنا، بل وإلى جميع من حولنا.

إننا لا ندعو إلى النصيحة العارية المقشّرة، بل إلى ما يمكن أن نصطلح عليه بـ«النصيحة المسلفنة»، فإذا كان تقديم العيوب -حسب الحديث- بمثابة تقديم الهدايا، فالهدية جميلة بذاتها وأجمل بغلافها المذهّب أو المسلفن أو الملون الذي يفتح الشهية لرؤية ما في داخلها، وذلك هو الأسلوب الأنيق والأكثر ذوقاً في تقديم النصائح.

يقول ليبرمان مستنداً إلى دراسات كثيرة «إن المرء بحاجة إلى مناشدة عواطف الشخص الآخر إذا كان يريد إقناعه. فإذا لم تنجح في استثارة العواطف فسوف تلاقي صعوبة كبيرة في إقناع الطرف الآخر، بغض النظر عن عقلانية حجتك أو منطقيتها». ويضيف أيضاً: «إن الدراسات تُظهر بأن 90 % من القرارات تستند إلى العواطف، ثم نعد إلى استخدام المنطق من أجل تبرير أفعالنا»⁽¹⁾.

(1) كيف تؤثر في الآخرين ، د. دافيد ج. ليبرمان، ص 107.

ت- أخلص للمنصوح له:

يجب أن تتسم النصيحة بالإخلاص وإرادة الخير للمنصوح له. ولو تأملنا في أنواع النصائح لرأينا أنها تتعدّد بين الإرشادات والتوجيهات والتعليمات والمواعظ والاستشارات، فإذا كان (المستشار مؤتمناً)، بموجب الرواية⁽¹⁾، فإنّ الناصح - في موقع من مواقع النصيحة - مؤتمناً أيضاً في تقديم أفضل وأنبّل وأجمل ما لديه لمنصوحه أو مستشيريه.

ومن المؤسف حقاً أن يقوم أحد الأفراد بغشك حين تطلب منه النصيحة، فيؤدّي لك نصيحةً تضرُّ ولا تنفع، وأحياناً يحاول من خلالها أن يجرّفك عمّا فيه مصلحتك إلى مصلحة شخصية له، الأمر الذي يستدعي البحث عن الناصح الأمين.

وهناك أيضاً من يغش من خلال النصيحة! لا لشيء إلا لعقْدِ نفسية أو حالات شيطانية تنتابه. ألم ترَ أن إبليس أقسم لأبويننا آدم وحواء (وقاسمهما إنّي لكما من الناصحين)⁽²⁾ ولم يكن كاذباً بقسمه فقط، بل ثبت أنه مخادع وغاشّ ومضللّ.

(1) سنن الترمذي باب المستشار مؤتمناً، روته أم سلمة ص 2824.

(2) سورة الأعراف، 21.

وكثيراً ما يُلبسُ الغشاشون والمخادعون نصائحهم لباساً شيطانياً مشوقاً كالقَسَمِ لِيُوقِعُوا المَغْرَرَ بهم في شباكهم!

ومثل هذا النوع من النصائح المغشوشة عقيم، فهي لا تُؤتي أُكلها، لأنها خالية من الإخلاص للمنصوح له. وحين تخلو نصيحة من الإخلاص تغدو نصيحة شيطانية! فالشيطان - كما رأينا - أول من نصح وغشَّ في نصيحته، حين قال لأدم وزوجه: (مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ⁽¹⁾).

إنَّ ما يقابل النصح كقيمة أخلاقية صالحة هو الغش، والإنسان إمَّا ناصح وإمَّا غاش. والغاش ليس من المؤمنين، وكما يقول الإمام علي عليه السلام: (المؤمنون نصحة، والمنافقون غششة)⁽²⁾.

ث- انصح بالفعل المؤثر والقدوة الحسنة:

تكون النصيحة تارةً بالقول المجرد، وهذه هي (نصيحة الوقاية) أو النصيحة النظرية والحكمة المعلّمة، ولها قيمتها الكبيرة، وتارةً أخرى تكون بالفعل والمثال والنموذج، وهذه هي (النصيحة العلاجية) الفعالة والمؤثرة.

(1) سورة الأعراف، 20.

(2) مكارم الأخلاق، الطبراني، رقم الحديث 2631.

فالنصيحة بالقول، هي أن تقدم للناس عصارة معارفك
وتجاربك وحكمتك وموعظتك، فترشدهم إلى ما فيه صلاحهم
وتنهاهم عما فيه ضررهم في الدنيا والآخرة.

وخيرُ مثال قرآني على ذلك مواعظ (نصائح) لقمان لابنه،
فهو يقدم له سلّة من النصائح القيّمة كأسلوب تعليمي تربويّ، ولا
نشك لحظة واحدة أن لقماناً كان يجسّد ويُجسّم تلك القيم الماثورة في
مواعظه ونصائحه، ليرى ابنه الصلاح عملاً مقروناً بأقواله، ذلك
أنّ النصيحة بالفعل هي التي تجعل من سلوكك وتصرفاتك نصيحة
بليغة للآخرين، فلا تظلم ولا تغش أحداً ولا تعتدي على الآخرين
ولا تؤذيهم بقولٍ أو بفعل.

وحيث يتعلّق الأمر بتوجيه النصح لأفراد عائلتك فإن أفضل
النصيحة، في هذه الأيام التي نشهد فيها تمرّد الأبناء على الآباء، هي
أن يكون الآباء نموذجاً يُحتذى وقدوة حسنة لأولادهم. فلنكثُر من
التصرفات الحكيمة والحسنة أمام أولادنا، فإنهم لن يجدوا نصيحة
أبلغ وأكثر تأثيراً في النفس من نصيحة الفعل الحاكي عن نفسه،
الشاهد على صدق مدعى أو إخلاص قائله.

فالجيل الجديد، كما هو معلوم، لا يريد أن يسمع، لكنه دون
شك يرى ويلاحظ ويتعلّم. ويمكن أن يستمع إلى النصيحة، لكنه
سيتعلم أكثر من سلوكيات الذين من حوله. فحين يرى والديه

يتبادلان الاحترام، يتعلّم الاحترام منهما. وحين يراهما يتعاملان بهدوء ومودة، يتعلم التعاطي بهدوء ومودة. وقد لا تحتاج أن تنصحه باحترام إخوته واحترام الآخرين بعد ذلك.

ج- استخدم الأسلوب غير المباشر:

إن استعمال الأسلوب غير المباشر في النصيحة يكون على طريقة المثل القديم القائل: «إيّاك أعني واسمعي يا جارة». فقد تقدّم النصيحة بصورة غير مباشرة، مغلفة أو مبطنّة، بحيث يفهمها المنصوح من دون مجابته أو خدش مشاعره بالصراحة الصريحة. كأن تخاطب شخصاً وتقصد بالكلام شخصاً آخر، أو أن تروي قصة ذات عبرة وتقصد منها إفهام السامع مغزى يحمل مضمون النصيحة التي توّد تقديمها له. أو أن تلمح بالنصيحة دون أن تصرّح، ففي أحيان كثيرة يكون التلميح بالنصيحة أفضل من التصريح بها. النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتمد هذا الأسلوب في النصيح، فكان إذا بلغه عن رجل شيئاً ما، لا يقول: «ما بال فلان يقول كذا»، بل يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا». وجميعنا يعلم القصة المشهورة التي تذكر بأن الحسن والحسين -عليهما السلام- وجدا في طفولتهما رجلاً كبيراً لا يُحسِنُ الوضوء، فأرادا أن يعلّماه، فطلبا منه أن يحكم بينهما في الوضوء أيّهما يتوضأ

أحسن من صاحبه؟ فتوضأ أمامه ليعلماه. وهذا من باب النصيحة بالفعل واستعمال الأسلوب غير المباشر مع مراعاة الأدب واللياقة.

ح- افتح حواراً ودياً:

حاول أن تفتح حواراً ودياً مع الآخر الذي تريد نصحه وتبادل معه أطراف الحديث حول الموضوع، إذ يمكن أن تتوصل في نهاية الحديث إلى لفت انتباه الطرف الآخر إلى الطريق القويم، فينتبه من غفلته ويوقظ وعيه إلى ما فيه صلاحه، معتقداً بأن الفكرة قد صدرت عنه، فهذه طريقة جيدة لإيصال مضمون النصيحة، وخاصةً إذا كان من المقرئين ومن أفراد العائلة.

فمن وجهة نظر نفسية، يذكر ليبرمان عدداً من العوامل التي تجعل الناس يستجيبون للنصيحة ومنها، قوله «يميل الناس إلى الاستجابة بشكل أفضل للحلول المقدمة لهم، إذا اعتقدوا أنّ خطة التحرك قد صدرت عنهم. حاول أن تذكر أحدهم بأنه هو من قدم الفكرة أولاً»⁽¹⁾. ويتابع مبيّناً الطريقة المثلى لدفع أمثال هؤلاء للإصغاء: «إنّ أفضل نهج نتبعه هو أن نبلّغ الشخص الآخر مقدماً بأنّ القرار الأخير في التحرك يبقى في يده عارضين أمامه المزايا والمساوي».

(1) مصدر سابق، ص 109.

خ- الانتصاح بما تنصح!

ليس أوقع وأبلغ في النصيحة مثل العمل بها ومن ثم توجيهها لمن يحتاج إليها، ليرى المنصوح أثرها على صاحبها، ويلمس صدقه، ويدرك مدى حبه وإخلاصه له لأنه يشير عليه بما جرّبه ونفعه أو نجح فيه. ومن هنا جاء تأكيد الإمام علي (ع) على أن «ومعلّم نفسه أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدبهم»⁽¹⁾.

يقول الشاعر والعالم النحويّ أبو الأسود الدؤليّ تأييداً لذلك:

يا أيُّها الرجلُ المعلّمُ غيره

هلاًّ لنفسك كان ذا التعليمِ

تصفُ الدواءَ لذي السقامِ وذي الضنى

كيما يصحّ به وأنت سقيمٌ

ونراك تصلح بالرشادِ عقولنا

أبدأً وأنت من الرشادِ عديمٌ

فأبدأً بنفسك فانها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيمٌ

فهنالك تُعذرُ إن وعظتَ ويُقتدى

بالقولِ منك، ويُقبَلُ التعليمُ

(1) نهج البلاغة. خطب الإمام علي، ج 4، ص 16.

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلهُ

عازٌّ عليك إذا فعلتَ عظيمٌ

وفي هذا الصدد لا بدُّ أن نستذكر قوله تعالى موجَّهاً بني إسرائيل على التناقض الحاصل بين أقوالهم وأفعالهم: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)⁽¹⁾.

د- الإِسْرَارُ فِي النِّصِيحَةِ:

من نافل القول، إنه يجب عليك حين تنصح ألا تفضح. فالنصيحة ليست من مفردات الفضيحة أو من مرادفاتها، ذلك أن الناصح - كما شبَّهناه في ما سبق - أشبه بالمرأة يُفصح عن الحقيقة، لكنه لا يفضحها، فليس من طباع المرايا نشر الغسيل القذر! ليتّم إذن النصح بينك وبين أخيك في السرِّ وبصورةٍ شخصيةٍ، أما التشهير على الملأ فيُخرج النصيحة من سياقها ويُفرغها من معناها الخيّر ليملاًها شروراً وإساءات ووخزات. وهذا هو معنى قول الإمام الصادق (ع): «من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه»⁽²⁾.

(1) ميزان الحكمة. محمد الريشهري، ج 4، ص 3599.

(2) سورة البقرة، آية 44.

فالإنسان بطبعه يكره الشهير، ويعتبر النصيحة أمام الناس إساءة له، وغالباً ما يؤدي ذلك الى امتعاض المخطئ، وقد ينقم على الناصح أيضاً.

وكثيراً ما يحدث أماننا ما يستوجب النصح، ولكن يجب علينا التأمي وإرجاء تقديم النصيحة إلى ما بعد انصراف الناس، فلا نقدّمها في اللحظة التي نرى فيها الخطأ أمام الآخرين! لأن ذلك يُعتبر توبيخاً وتعييباً.

يقول الشاعر:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي إِفْرَادِي

وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ

مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ

وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي

فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ

فهدف النصيحة هو (إصلاح العيب) لا (التعييب) الذي قد يؤدي أو يجرح المشاعر، ولا يمكن أن يكون ذلك من خصال المؤمن المؤدّب بأدب الله، المتخلق بالأخلاق الحسنة، فالتعييب وتوجيه الانتقادات العلنية للآخرين هو من الصفات الدنيئة القبيحة. فلا بدّ

إذاً أن تلتقي هنا الحكمة والمعرفة مع الدماثة والأخلاق والإسرار
بالنصيحة.

فالشائع أن الإنسان لا يستسيغ أو يتقبل أن يُعاب أو أن يتم
تخطئه علناً أمام الناس. وإذا حصل مثل ذلك فسيكون هناك ردّ
فعلٍ -ولا شك- ربما تؤدّي حدّته وشدّته إلى انقلاب الموقف من
النصح إلى السجال وأحياناً إلى ما هو أبعد من السجال. فيتحوّل
فعل النُصح إلى شكلٍ من أشكال القَدْح، ويتحوّل الناصح إلى قاذح
من دون قصدٍ منه.

ذ- إذا أردت أن تنصح فابدأ بالإيجابيات:

إذا أردتَ تنصح شخصاً من دون أن تخرجه، فلا بدّ في البداية
من إعطائه بعض الكلام الطيّب والبدء بذكر إيجابياته ومحاسنه، من
أجل تهيئته وإعداد نفسياً لتقبّل النصيحة.

فهذا فنٌّ من فنون النصيحة، ومن الطرق الفضلى التي تجد لدى
المنصوح أذناً صاغية وقبولاً لما سيسمعه منك.

وخير مثال على ذلك ما فعله الإمام موسى الكاظم (ع) مع
صاحبه صفوان الجمّال حينما أراد ان يؤاخذه على تأجيره جماله
لهارون العبّاسي، حيث ابتدأ معه باللطف وبما يفتح الأذان للاستماع
للعظ والنقد والنصيحة، حيث قال «يا صفوان كلّ شيء منك

جميل حسن ما خلا شيئاً واحداً»⁽¹⁾.

ر- لا يجب أن تكون النصيحة بحثاً عن العيوب:

من الشروط المهمة للنصيحة ألا تكون تدخلاً في ما لا يعينك،
وبحثاً عن عيوب أخيك. وفي الحديث النبوي إشارة إلى ذلك، حيث
يروى عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قوله:

(1) صفوان الجمال الكوفي من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم
-عليهما السلام- وهو رجل صاحب تقوى، وكانت معيشته تعتمد على إجارة
إبله. يقول: «دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال لي:
يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً، قلت: جعلت فداك
أي شيء؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل، يعني هارون الرشيد. قال: والله
ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد ولا للهو، ولكني أكريته لهذا الطريق، (يعني
مكة)، ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني.

فقال لي: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك.

فقال: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم.

قال: من أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار.

قال صفوان: فذهبت فبعث جمالي عن آخرها.

فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعث جمالك، قلت:

نعم، قال: ولم؟ قلت: أنا شيخ كبير وإن الغلمان لا يفون بالأعمال.

فقال: هيهات هيهات إنني لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن

جعفر، قلت: مالي ولموسى بن جعفر، فقال: دع هذا عنك، لولا حُسن صحبتك

لقتلتك» (الذنوب الكبيرة، مج 2، ص 57).

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»⁽¹⁾.
وأيضاً: «من تتبع عورة أخيه المسلم ليفضحها، تتبع الله عورته ليفضحها ولو في جوف بيته»⁽²⁾.

فلا تفتش عن العثرات الخفية والأمور الشخصية الخاصة بحجة النصيحة! وإذا حدث أن عرفت شيئاً من ذلك فتغافل ولا تبرع في النصح بما لا يعلنه الناس من شؤونهم الخاصة، والتي قد لا تعرف كل تفاصيلها ولا تفهم جميع حيثياتها. فهذا أمر لا يخلصك، وهو سبيل - أنت في غنى عنه - لاستجلاب كراهية الناس لك واستثقالهم مجالستك أو الاستماع الى نصيحتك ونفورهم منها ومنك. وكما قيل: من تدخّل في ما لا يعنيه، سمع ما لا يرضيه، ولعلّ ذلك مستوحى من الحديث الشريف «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»⁽³⁾.

وللأسف فإنّ هناك من يتصيّد عيوب الناس ويغض الطرف عن عيوبه هو، فيرى القشة في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه. وهذا النموذج لا يُعمل بنصيحتته ولا تُقبل منه.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج 5، ص 71.

(2) أخرجه الترمذي برقم 2032، وابن حبان 5753.

(3) السيوطي، الجامع الكبير، رقم 8224.

ووردَ عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام قوله: «من تتبع خفيات العيوب حرمه الله مودّات القلوب»⁽¹⁾.
وجاء عنه أيضاً: «إياك ومعاشرة متتبعي عيوب الناس، فإنه لم يسلم مصاحبهم منهم»⁽²⁾.

وينهى الإمام الصادق -عليه السلام- عن حفظ عيوب الآخرين بقوله: «أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يواخي الرجل وهو يحفظ (عليه) زلاته ليعيّرَ بها يوماً ما»⁽³⁾.

ز- الاختصار في النصيحة:

كلّما كانت النصيحة بليغة ومقتضبة وغير طويلة أو ثقيلة، استقبلتها أذن السامع أو المنصوح برحابة وترحيب، وهذا هو الذي نبّه اليه الامام علي (ع) بقوله «إذا وعظت فأوجز»⁽⁴⁾.
ذلك أن المنصوح كالمريض يجب أن لا نثقل عليه، ولا بد من إشعاره أننا لسنا في موقع أفضل وأعلى منه، وإنما محبّتنا واحترامنا له يدعوننا أن نقدّم له ما يتوجّب من حقّه علينا.

(1) ميزان الحكمة. محمد الريشهري، ج 3، ص 2208.

(2) المصدر نفسه.

(3) الكافي، الكليني، ج 2، ص 355.

(4) جواهر العقول، وصال حمّة، ص 723.

وبمعنى آخر، فإنّ النصيحة كالدواء لها معيار معين لا يجب تجاوزه أو إهماله، ولذلك ينبغي أن تُعطى بمحدودها المعقولة والمقبولة، وفي توقيتها الصحيح، وعند الحاجة ودون أن نُثقل على المنصوح.

يقول ليبرمان عن أولئك الذين يواجهوننا بمقاومة شديدة إذا نصحناهم أو روجنا لفكرة صعبة الهضم عليهم: «ستكتشف أنّ أحداً لن يُصني بذهن منفتح لما تقوله في حالة شعر أنه مجبر على سماعه»⁽¹⁾!

وإضافة الى ما قدّمناه من قواعد في فنّ النصيحة، يقدم ليبرمان جواباً عن سؤال: كيف أجعل شخصاً يأخذ بنصيحتي؟
بأنه:

- 1- يتعيّن عليك تقديم خطة محددة تحتوي على خريطة طريق دقيقة توضّح كيفية إنجاز العمل / النصيحة التي تطلبها (بمعنى أن نردف النصيحة بالإجراءات العملية الممكنة).
- 2- مكن نصيحتك من منع العواقب السلبية أو المزعجة، فهذه طريقة أكثر فعالية من طريقة شرح المكاسب.

(1) مصدر سابق، ص 110.

ويضرب لذلك مثلاً واقعياً عن شركة مراهنات كانت تستخدم شعار (يمكنك أن تكون من الراجيين) ثم غيّرت بناء على استشارة علماء النفس الى (لعلك قد رجحت مقدماً) فضاعف هذا الشعار من نجاحها.

3- دع الشخص الآخر (المنصوح) يعرف بأن هذه الطريقة الجديدة في التفكير تتوافق تماماً مع طبيعته.

4- لا تتخذ موقف الشخص الذي يعرف كل شيء، وعندها سيعتبرك الآخرون أكثر مصداقية وإخلاصاً⁽¹⁾.

(1) مصدر سابق، ص 111 ببعض التصرف.

تَقْبَلُ النَّصِيحَةَ

ومثلما يُفترض بالمرء أن يقوم بنصح الآخرين، فإن عليه أن يكون على استعداد أيضاً لتقبُّل نصائحهم. وعليه أن يقدم الشكر والمودة لمن ينصحه، عملاً بالحديث القائل: «أحب أخواني إليّ من أهدى إليّ عيوي»⁽¹⁾.

وأهمّ من الشكر والمودة، أن يأخذ المنصوح بنصيحة الناصح ويطبّقها في سلوكه وواقعه العملي، بحيث ينعكس أثرها في حياته وعلى تصرفاته. يُروى عن الإمام الباقر (ع) قوله: «اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش»⁽²⁾.

وعن الإمام علي (ع): «نصحك من أسخطك بالحق، وغشك من أرضاك بالباطل»⁽³⁾.

وفي بعض الحكم عن الإمام الحسين (ع): «من أحبك نهاك، ومن أبغضك اغراك»⁽⁴⁾.

(1) تحف العقول، ابن شعبة حراني، ص 366.

(2) الكافي. الكليني، ج 2، ص 638.

(3) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 18، ص 389.

(4) بحار الأنوار، المجلسي، ج 75، ص 128.

يروى أحد رجال الدين كيف أنه، وبعد انتهائه من إلقاء درسه، تقدّم إليه أحد المصلّين شاكرًا له جهوده وقائلاً له بكلّ لطف وعلى انفراد، بأن استحضاره لبعض قصص الفتن من الماضي تُضربُ بواقع المسلمين اليوم وهم لا يحتاجون لمزيدٍ من هذا، بل وحتى تكرار القصص التاريخية الإيجابية دون ربطها بواقع الناس سيُشعرهم بالملل في نهاية المطاف. لذلك من الأفضل الحديث عن الواقع ومشاكله لتكون الدروس والخُطب أكثر تأثيراً.

وبالفعل تلقّى رجلُ الدين تلك النصيحة بصدورِ رحبٍ، وعمل بها، وسرعان ما تطوّرت خطبه ودروسه، وقد لمس أثر ذلك التطوّر مباشرةً في وجوه وعيون من ينصتون إليه! والفضل هنا ليس فقط لشجاعة ذلك المصلّي الناصح ولطفه وشدة لباقة في تقديم نصيحته، بل أيضاً لشجاعة ذلك الشيخ في تقبّل النصيحة والعمل بها.

فجميعنا لا نخلو من مجموعةٍ من العيوب التي لا نستطيع رؤيتها، لكنّ الذين حولنا يستطيعون رؤيتها ومعاينتها، ويستطيعون -إذا كانوا صادقين- مساعدتنا في التعرّف إليها، وبالتالي المساعدة في معالجتها.

من هم الناصحون؟!

يُخطئ من يظنّ أنّ الناصح هو الآخر فقط، أيّ كان هذا الآخر الانسانيّ، فالواعظون الناصحون المشفقون كثيرون، كلّ ينصحُ بطريقة الخاصة ولا يستغني عاقلٌ عن نصيحة مخلصه من أي صدرت.

ومن بين الناصحين:

1- النفس:

فخيرٌ ما يعظُّ الانسانَ ويوقظه من غفلته، ويرشده الى سواء السبيل نفسه التي بين جنبيه، وكلّما وعى الانسان دوره في الحياة، كان أسمع الى نصائح ذاته في المحاسبة والإلزام والتهديب وتفادياً للأخطاء. وصدق من قال «لقد وعظت لو اتعظت»⁽¹⁾.

من هنا لا بدّ للعاقل من ساعةٍ يخلو فيها مع نفسه يحاسبها ويطلبها وينصحها ويعظها.

عن رسول الله (ص): «إنّ في حكمة آل داود عبرةً للعاقل اللبيب أن لا يشغل نفسه إلا في أربع ساعات: ساعة يناجي فيها

(1) مجمع الأمثال، ج 2، ص 451.

رَبِّهٖ، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يلتقى فيها إخوانه الذين يناجي الذين ينصحونه في نفسه ويخبرونه بعيوبه، وساعة يخلو بين نفسه وبين ربها فيما يحل ويحتمل فإن في هذه الساعة عوناً على هذه الساعات»⁽¹⁾.

عن الإمام علي (عليه السلام): «ما أحق الإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله شاغل، يحاسب فيها نفسه، فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها»⁽²⁾.

2- الوالدان الباران:

كما أنّ هناك ابناً باراً بأبويه، هناك بالمقابل أبوان يبرّان أبناءهما، والعكس صحيح أيضاً في مجال العقوق. والمراد ببرّ الوالدين لأولادهما أن يكونا المربيين الصالحين، والناصحين المشفقين اللذين يقدمان خلاصة تجربتهما، وصفو رأيهما الى أعزّ الناس لديهما. وخير مثال على ذلك نصائح الإمام علي (ع) لابنه الامام الحسن (ع) الواردة في (نهج البلاغة).

(1) كنز العمال / 5381.

(2) مستدرک الوسائل: 12 / 154 / 13761.

وكم سمعنا وقرأنا وعشنا حقيقة هذه النصائح التي بقيت تلازم أعمارَ المنصوحين الى آخر حياتهم.

وعلى المستوى الشخصي، أسرَّ لي المحامي الشهير السير مايكل برِّي، وهو أول أميركي من أصول عربية يشغل مقعداً حكومياً في أميركا، بأنَّ مفتاح نجاحه كان نصيحة بسيطة وعميقة قدّمتها له والدته حين قالت له: «مهما كان حجم الأعمال التي تقوم بها، فالأهمّ هو أن لا تقوم بأيّ عملٍ مشينٍ يضرُّ بسمعتك».

وقد طبّق السير برِّي هذه النصيحة، التي هي أقرب ما تكون إلى القاعدة الحيائية، فحقّق نجاحاتٍ لا تُضاهى ووصل إلى مكانة غير مسبوقة، حيث إنه فاز بمقعد في مفوضيّة الطُّرُق بمقاطعة «وين» وحافظَ عليه لمدة 16 سنة نجح خلالها بلعب دور كبير في توسعة مطار ديترويت الدولي، حتى أُطلقَ اسمه على محطة رئيسية للمسافرين في المطار المذكور. كذلك أُطلقَ اسمه على «مركز مايكل بري للوظائف» في مدينة ديربورن. ناهيك عن أنه كان عضواً في اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي في ولاية ميشيغن.

وقد رحلَ السير برِّي بسجلاً حافلٍ بالإنجازات والسمعة العطرة، دون أن يُسجّل عليه أنه قام بأيّ عملٍ يضرُّ بسمعته، عملاً بنصيحة والدته التي اتَّخذها قاعدةً للنجاح وسارَ على هديها طوال مسيرته.

3- الصديق الصالح:

أو الذي يوصف بـ«الصدوق» لكثرة صدقه وإخلاصه لصديقه، فهو ينصحه كما ينصح نفسه، ويتمنى له ما يتمناه لذاته، ولذلك جاء في الحديث «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل»⁽¹⁾. وجاء في تقسيم ساعات الزمن الى أربع ساعات، كما في الرواية عن أمير المؤمنين (ع): «وساعة للقاء إخوانكم الثقات الذين يعرّفوكم عيوبكم»⁽²⁾، أي ينصحونكم ولا يجاملونكم.

4- الأقارب:

لا بدّ من الإشارة في هذا الصدد إلى أنّ الأولاد أحياناً قد لا يأخذون بنصائح الأهل، ولكنهم يستمعون لنصائح القريب، الخال والعمّ.

وعادة تقديم النصح من الأقارب وأفراد العائلة لبعضهم بعضاً هي عادة طيبة من الكنوز المتوافرة في مجتمعاتنا، والمفقودة في المجتمعات المادّية.

(1) أخرجه أحمد في المسند، 8/307.

(2) بحار الأنوار، المجلسي، ج 75، ص 321.

فالثقافة الأميركية، والغربية عموماً، تُشجّع على الفردية وترفض تدخل الأقارب والأهل. بينما تحضُّ مجتمعاتنا العربية على مثل هذا التدخل الإيجابي الذي يحمل قيمةً كبرى، وفوائد عظيمة لا تبدأ بمنع تمرُّد الأبناء على الأهل الذين لا يملكون أسلوباً في التعامل والنصح، ولا تنتهي بحماية الأبناء من نصائح رفاق السوء الذين قد يلجأون إليهم حين يعدمون النصيحة المناسبة عند الأهل.

فنصائح الأهل والأقارب، وخصوصاً الأعمام والأخوال، هي بمثابة شبكة أمان تحمي الأبناء من السقوط في شراك النصيحة الخطأ. ولا يمكننا أن ننسى دور الجدّين المؤثّر في هذا المجال، والذي يمثّل ثروة حقيقية في تربية الأبناء والبنات. وكلّ منّا ربما يملك مثلاً أو أكثر عن دور الجدّين في تديّن الأحفاد.

فالجدّان يمزجان بين العقل والعاطفة في أسلوب التعامل مع الحفيد، ويوفّر لهما التفرُّغ - في ظلّ انشغال الأب والأم - فرصة كبيرة لتعميق أثر نصائجهما في نفسية الحفيد وعقله.

لذلك لا بدّ من الالتفات إلى ثقافة الكهول والكبار في السنّ والعناية بها وفقاً للمبدأ النبوي القائل: «اطلب العلم من المهدي إلى اللحد».

5- العلماء:

جاء في المرويات أن لقمان قال لابنه وهو يعظه: «يا بني، جالس العلماء، وزاحمهم برُكبتَيْك وأنصت إليهم بأذُنَيْك، فإنَّ القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميَّتة بمطر السماء». وفي رواية ثانية: «فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يُحيي القلوب بنور الحكمة كما يُحيي الأرض بوابل السماء».

إنَّ مجالسةَ العلماء هي بمثابة الشرب من النبع، حيث النصيحة الصافية العذبة الخالية من الشوائب. فالجلوس بين أيدي العلماء والفضلاء والاستماع إلى مواعظهم وحضور دروسهم يجعل العبد بصيراً بعيوب نفسه، لأنَّ العالم قادرٌ على رصد العيوب الأخلاقية في المجتمع وعلى قراءة نفوس البشر من حوله ودرس العيوب المتفشية لديهم، ثمَّ إعطاء الدروس حولها بغية تنبيه الغافلين وإيقاظ الساهين. لذلك قيل «زاحموا العلماء في مجالسهم». فهم أصحاب الخبرة والعلم والعارفين بداء النفوس ودوائها، وبالتالي هم الأكثر قدرةً وإبداعاً في مجال تقديم النصيحة بجناحيها؛ العلميِّ والروحيِّ. ومثلما يراجع الإنسان العاقلُ الطيبَ، بين فترةٍ وأخرى، ويعرض نفسه عليه خشية أن يكون مصاباً بمرض لا يعرفه، لا بدَّ له من أن يراجع، على صعيد النفس، طيبَ الأخلاقِ ومعلمَ الروح لمعرفة ما لديه من أمراض أخلاقية.

6- الخصوم:

من المفارقات التي يجدر بالمرء أن يتوقّف عندها هي أنه، في بعض الأحيان، يُستفاد من العدوّ أو الخصم المُشاحن أكثر مما يُستفاد من الصديق المُداهن!

فالحقيقة أنه ثمة أنماط من الناس تساعدك على كشف عيوبك، ومنهما متناقضان اثنان لا يجتمعان إلا في موضع كهذا الموضع: صاحب المؤمن، والعدوّ المشاحن. فالأول يكشف لك عيوبك من موقع الحريص المحبّ، والثاني يكشف لك عيوبك من موقع المُشهرّ الحاقِد.

والأعداء على نوعين: عدوّ عاقل وعدوّ جاهل. وقد قيل في المثل السائر بأنّ عدوّاً عاقلاً خيراً من صديق جاهل. والشاعر يقول ذلك على طريقته:

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ

ولكنَّ عينَ السخطِ تُبدي المساويا

فانتقادُ العاقل، حتى وإن كان خصماً أو عدوّاً، وحتى إن جاء على محمل الحقد، فإنه أحياناً يكون فرصةً لإصلاح الذات ورتق العيوب. فأنت بذلك تحوّل إثمَ الآخر إلى فرصةٍ شخصيةٍ لك.

وليس بعيداً عن ذلك نتذكّر كيف نجح أمير الشعراء أحمد

شوقي من الاستفادة من نقّاده الحاسدين له، وتحويل نقدهم إلى ما يشبه «النصائح الشخصية»، حيث كان يستفيد من نقد الخصوم لتطوير شعره واكتشاف مواضع الضعف فيه.

7- الكتاب:

إذا سَمَحَ لنا أبو الطيّب المتنبي ببعض التحوير في بيته الشهير، ليتناسب مع موضوع كتابنا، سنقول: «وخيرُ ناصحٍ في الأنام كتابٌ». فالكتاب -إذا أحسنَ الإنسانُ انتقاءه- خيرُ ناصح، بل إنه ناصح استراتيجي وليس مجرد ناصح لحظي، لأنه يساعدك على بناء طريقة سليمة في التفكير تركز عليها مدى الحياة كلما واجهتك مشكلة واحتجت إلى النصيحة.

وللأسف فإنّ ثقافة القراءة ليست متجذّرة في مجتمعاتنا، على عكس المجتمعات الغربية التي تنظر إلى القراءة كتمارين يومية وأساسية في حياة الناس.

وفي هذا الصدد يروي أحد المشايخ الكرام كيف أنه حين كان مسافراً، في مهمّة تبليغية في شهر رمضان المبارك، جلس إلى جانبه في الطائرة زوجان أوريّان عجوزان، في السبعينيات من العمر، وظنّ الشيخ بأنهما سيُضيان الرحلة وهما غارقان في نوم عميق. فإذا بكلّ منهما يُخرج كتابه ويشرع في القراءة دون أن يُوقفه شيء

إلا حضور وجبة الطعام! بينما كان المسافرون ذو الملامح العربية يتلهّون على هواتفهم بعدما أمضوا وقت الانتظار وهم يتبصّعون في السوق الحرّة!

عندئذ يسأل الشيخ: أين نحن ومجتمعنا من الكتاب والمطالعة؟ خصوصاً أننا أمة «اقرأ» التي لا يبدو أنها تقرأ! فعلينا بصحبة الكتاب؛ الناصح الاستراتيجي، بعد أن نحسن اختيار العناوين والمضامين طبعاً. فالكتب كالأصدقاء، بينها الصالح وبينها الطالح، وعلينا اختيار ما ينفع ويفيد.

8- المستشار الموثوق:

ذاك الذي عُرف بصواب رأيه، ورجاحة عقله، وموزون حكمته، أخاً كبيراً كان، أم جاراً طيباً، أم رجلاً مستناً حنكته التجارب، أو شخصاً عارفاً بدقائق اختصاصه، أو خبيراً في مجال علمه وعمله.

9- السفهاء والحمقى والجهلة!

عجباً! كيف يكون هؤلاء من الناصحين، ولو كانوا حقاً من أهل النصيحة لما وقعوا في السفه والجهل والحمق والغفلة، لكنهم واعظون ناصحون بطريق غير مباشرة. فنحن نرى تصرفاتهم الخرقاء فنستهجنها، ولا نأتي بمثلها، فيكونون وعاظاً من غير أن

يقصدوا الوعظ، وناصحين من دون أن يتوجَّهوا بالنصيحة.
 قيل لعيسى (ع): «من أدبك؟! قال: ما أدبني أحد، رأيت
 قبح الجاهل فجانبته». وورد مثل ذلك عن لقمان عندما سُئل:
 «مّم تعلمت الحكمة؟ قال: من الجهلاء، كلّمنا رأيت منهم عيباً
 اجتنبته»⁽¹⁾.

وفي قصّة تُروى أنّ شقيقين اثنين اتَّخَذَ كُلُّ منهما مساراً حياتياً
 وأخلاقياً معاكساً للآخر، والسببُ كان الأب! فقد انحرف الأبُ
 عن جادة الصواب وقَدَّمَ مثلاً سيئاً لولديه. وحين سُئِلَ الولدُ الأوّلُ
 عن سبب انحرافه السلوكي؟ قال: أبي لأنه كان قدوتي. وحين
 سُئِلَ الولدُ الثاني عن سبب صلاحه وأخلاقه القويمة؟ قال: أبي،
 لأنه قدّم لي نموذجاً خاطئاً قمتُ بتجنُّبه. وهكذا استفاد الولد
 الثاني حين اتَّخَذَ أباه موعظةً لا قدوة. وبهذا المعنى يكون الابن قد
 «انتصح» من المثل السيء الذي كان أمامه فاجتنبه.

10- الزمان:

ومن لم يجد ناصحاً ينصحه، فإن الزمان كفيلاً بنصحه ووعظه
 وتعليمه وإرشاده، إذا كان متيقِّظاً لبيباً.

(1) مختارات روائية، مؤسسة البلاغ، ص 270.

نعم سيدفع في بعض الأحيان أثماناً غالية، وتجاربَ حياتيةً صعبةً مكلفةً، لكنه - كما في المثل الشعبيّ الدارج - «يدفع من كيسه». يقول الإمام علي عليه السلام: «لَمْ يعقل مواعظ الزمان، من ركن الى حسن الظنّ بالأيام»⁽¹⁾.

فالأيام معلّّمة نواصح، سواء أكانت أيام عزّ ونجاح وانتصار، أم أيام تحدّ وفشل وانكسار. وكما يقول الشاعر: «فخذِ المجازَ من الزمانِ وأهله». فالزمن يُؤدّب الإنسان كما لو أنهما أستاذ وتلميذ. والليبيّ من انتصح من زمانه.

11- القرآن المجيد:

ويبقى القرآن الكريم أعظم الناصحين على الإطلاق، لأنه كلام الحق سبحانه وتعالى، ولأنه أبلغ الموعدة، وما استنصحه ناصحٌ إلا وأشار عليه بالصلاح والهداية الى خير السبل وأنجحها. فهو إخلاصٌ تامٌّ لا غشٍّ فيه، وصدقٌ كاملٌ لا يخالطه افتراء، وناصحٌ مخلص لا ينصح إلا بما فيه الرشد والهداية، ونور يضيء الظلمات فاتحاً دروب العقل.

(1) جواهر العقول، ص 771.

جاء عن الإمام علي (ع) في استنصاح القرآن: «اتعضوا بمواعظ الله، واقبلوا نصيحة الله، واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، واستدلّوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم»⁽¹⁾.

نعلم ذلك ونتعلّمه من نصائح القرآن نفسه عندما يقول لنا: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)⁽²⁾.

وعندما يقول عن أنّ الفلاح في تزكية النفس: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)⁽³⁾.

وعندما يقول: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)⁽⁴⁾.

وعندما يقول: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)⁽⁵⁾.

وعندما يقول: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)⁽⁶⁾.

(1) نهج البلاغة، خ 176.

(2) سورة فاطر، 6.

(3) سورة الشمس، 9 - 10.

(4) سورة المائدة، 8.

(5) فصلت، 34 - 35.

(6) سورة الفرقان، 63.

وعندما يقول: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا)⁽¹⁾.

وعندما يقول: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)⁽²⁾.

وعندما يقول: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)⁽³⁾.

وعندما يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ)⁽⁴⁾.

(1) سورة الإسراء، 53.

(2) سورة العنكبوت، 46.

(3) سورة الصف، 10 - 11.

(4) سورة التغابن، 14 - 17.

وعندما يقول: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)(1).

وعندما يقول عن حقيقة الدنيا والآخرة: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ)(2).

وعندما يقول: (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(3).

وعندما يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(4).

وعندما يقول: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)(5).

(1) سورة النور، 30.

(2) سورة الحديد، 20.

(3) سورة الحشر، 18.

(4) سورة التحريم، 6 - 7.

(5) سورة طه، 132.

12- العقل:

هو ناصحٌ لأنه خير وأفضل ما خلق الله، ولأنه آلةٌ تميز الخير من الشرّ، ولأنه الرسول الباطن، كما ورد في الحديث. وفي استنصاح العقل، جاء عن الامام علي (ع): «ولا يغشّ العقل من استنصحه»⁽¹⁾.

في المقابل ثمة أناس وأشياء يجب أن لا نأخذ بنصيحتهم. يقول الألمان في أمثلتهم: «ثلاثة وعَظ لا يُسْتَمَع إليهم أبداً: الخمرة والليل والحب». ذلك أن الخمرة تغري بالمعصية في غياب العقل، وكلام الليل عادة ما يمحوه النهار، وعاطفة الحب الطافحة الغالبة تُخرج عن الاعتدال. ونضيف الى ثلاثة الألمان ثلاثة هم:

الشیطان الذي يوسوس بالمعصية ويضعها على شكل نصيحة، والعدو الذي لا يُنصَفك أبداً، فقد ينصحك بما هو عكس المصلحة تماماً، والمخادع الغشّاش، ففي إسبانيا يقولون: «نصيحة الثعلب للدجاجات خطيرة جداً»!

فحذار، ثم حذار، ثم حذار من النصائح الثعلبية!

(1) النهج، خ 176.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:
مخطئٌ من ظنَّ يوماً أنَّ للثعلبِ دينا

أو ظنَّ أنَّ له لساناً صادقاً، ونيةً حسنة، فليست الثعالب - بشريّةً
كانت أم حيوانية - من ذوات النوايا الحسنة!

لماذا لا يحب بعضنا الناصحين؟!

والسؤال الأخير الذي نطرحه في هذا الكراس الثقافي الذي يتناول (فن النصيحة) هو: لماذا نجد بيننا أناساً كثيرين لا يُحِبُّون الناصحين، ونضع الإجابة عن السؤال برسم الواقع ورسم القرآن لتتعرّف على أسباب عدم حبّ البعض للناصحين، وقد نكون من بين هؤلاء من حيث لا ندري!

أولاً، أسباب نفسية:

من تلك الأسباب:

1- الشعور بدونية المنصوح وفوقية أو أفضلية الناصح، وقد لا يتحدث الناصح بلغة فوقية ولكن الناصح المتحسس يرى في نصح ناصحه تعالياً عليه، فلا يقبل منه، وقد يتظاهر بالقبول، لكنه لا يأخذ النصيحة مأخذ الجدّ.

2- إننا بطبيعتنا كبشر لا نحب أن يُطلّع أحد على عيوبنا أو أخطائنا أو مثالنا، والناصح ينطلق أحياناً من واقعة أو موقفٍ ما نمرّ به، فيسدي نصيحته، على ضوء ذلك، فيحول اطلاقه على عيبنا على التعاطي مع نصيحته تعاطياً إيجابياً، وكأنه إذ ينصحننا، يقول ضمناً: نصيحتي منطلقة من خلال مراقبة سلوككم! وهذا ما

لا يستحبّه بعضنا.

3- وقد نؤثر الوضع الذي نحن فيه، فلا نرغب بتغييره، لا لأنه الأفضل برأينا، بل لأنّ الناصح يريدنا أن نغيّره، ومع العلم أنّ الناصح لا يُلزم المنصوح بالأخذ بنصيحته، إلا أن استمرار الوضع الذي أدمنّا، لا يتيح لنا التأمّل أو التدبّر بنصيحة الناصح.

4- وقد نحبّ الناصح وتستهوينا بنصيحته، لكنّ أسلوبه في الوعظ والنصيحة هو الذي يُغلق مسامعنا عن الأخذ بنصيحته، الأمر الذي يعيدنا الى مبدأ توخّي اللطف في طرح النصيحة.

5- وقد يقع بعضنا في وهم الاغترار بنفسه، والاعتداد برأيه، فيرى أنه أعرف بالمصلحة من الناصح، وقد يجد مبررات للتصلّب من النصيحة، كما لو يقول إن الناصح عرف شيئاً وغابت عنه أشياء، أو أنه ينظر من غير الزاوية التي أنظر منها، وهكذا يتهرّب ويتملّص من الأخذ بالنصيحة.

6- اتهام الناصح بأنه إنسان نظري أو مثالي، أو يعظ غيره ولا يتعظ هو نفسه، ومن ثمّ فهو ليس أهلاً للنصيحة، ولو كان حقاً صادقاً مخلصاً لطبّقها على نفسه، وقد يكون الناصح بالفعل قد التزم بما يقدمه من نصائح، لكنّ المنصوح ليس على دراية أو اطلاع بذلك.

7- وربما يعيش بعضنا التجاذب والتأرجح بين نصيحتين:

نصيحة مخلصه لإنسان يريد له الخير، ونصيحة لإنسان غاشّ، يريد إيقاعه في المحذور والمحذور فيبدو تزيين الغاش نصيحة صادقة لأنها تلقى هوى وصدى في نفس المنصوح، وتبدو نصيحة الناصح الصادق مجافية ومنافية، لأنها تعاكس هوى النفس لدى المنصوح.

وفي الاجمال، فإنّ الجهل بقيمة النصيحة، والشعور بثقلها بما تكلفه من محاولة للتغيير، أو الاصلاح، قد ينعكس على صيغة التعامل مع الناصح بخلاف المقولة الناصحة: «أنظر الى ما قيل لا إلى من قال»⁽¹⁾.

ثانياً، أسباب يذكرها القرآن:

هذا في التقييم العام للتحسّس والتوجّس من نصيحة الناصح، فكيف عبّر القرآن الكريم عن عدم (حبّ الناصحين) لا بغض النصيحة ذاتها، لأنّ تعبيره واضح ودقيق في أنّ المشكلة عند من لا يُجيبون النصح في (شخص الناصح) وليست في (ذات النصيحة)، لتتابع:

يقول تبارك وتعالى عن خطاب صالح (ع) لقومه:

(1) نهج البلاغة. الحكم القصار.

(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)⁽¹⁾. لأنهم يذكرونهم بأخطائهم ويعترفونهم عيوبهم، فلا يريدون التراجع عنها، ولا يريدون من ينبه الناس إلى مساوئهم، مع العلم أن نصيحة الأنبياء خالصة مخرصة ليس فيها أدنى ريب أو شبهة أو جنوح شخصاني أو مآرب ذاتي. يقول هود (ع) مخاطباً قومه: (أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)⁽²⁾.

وقد ترد النصيحة على لسان الكاذب الغاش المخادع ليغلف بها ادعاءاته، ويصور أو يزيّن جريمته بوضعها موضع النصيحة ليغري الآخر بتصديقها. الشيطان نموذجاً، وإخوة يوسف نموذجاً آخر. يقول تعالى عنهم: (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ)⁽³⁾.

وقد تبين أن الشيطان وإخوة يوسف لم يريدوا الحقيقة أبداً، وإنما كانوا يطلبون خلافها وعكسها تماماً، وجلّ ما سعوا إليه هو خداع المنصوح.

(1) سورة الأعراف، 79.

(2) سورة الأعراف، 68.

(3) سورة يوسف، 11.

وقد لا تجدي أبلغ النصائح، وأصدق المواعظ، وأخلص الخطابات، إذا كان المخاطب واقعاً تحت غواية شيطانه، وهوى نفسه، وراكباً رأسه، كما يقال. هذا هو نوح (ع) يخاطب قومه: (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُضْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)⁽¹⁾.

والله تعالى الهادي الى الرشده لا يُغوي، وإنما يزيد في غواية الغاوين الذين لا ينتصحن جزاءً على عصيانهم وتمردهم. يقول الإمام علي (ع): «إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعَهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنْ أَغَشَّهِمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ»⁽²⁾.

(1) سورة هود، 34.

(2) نهج البلاغة، خ 86.

ادّخار النصيحة

بقي أن نشير في الختام الى نقطة حيوية في هذا المضمّار، وهي أنّ النصيحة الصادرة عن نفس محبة، وأخلاق كريمة، وروحية إيمانية، سواء أكانت (حسنة) تلقى صدقاً وتجاوباً في النفس، أو (قبيحة)، لا بمعنى أنها تدعو الى القبح، والا فهي ليست نصيحة وإنما (غواية)، بل المراد أنّ سامعها يستقبحها لانه لا يجد ميلاً او انجذاباً لها، وهذا الذي أشار اليه الإمام علي (ع) في بعض مواعظه ووصاياه لولده الإمام الحسن (ع): «وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة». (نهج البلاغة. نصيحته لولده الحسن عليه السلام). وكلمة المحض تعني تمام الإخلاص في النصح، وهذا الذي ينفي معنى القبح الذاتي في النصيحة!

من هنا تأتي الدعوة لقبول النصيحة أو الاحتفاظ بها، فلعلّ المنصوح لا ينتصح لساعته، لأنه يكون واقعا تحت تأثيرات معينة، لكنه قد يسترجع نصيحة قديمة فيجد فيها ضالته المنشودة، ولذلك قيل: «إقبلوا النصيحة ممن أهداها اليكم، واعقلوها، واحفظوها ولا تضيّعوها». يقول الإيطاليون: «دوّن النصيحة التي قدّمها لك الشخص الذي يُحبّك، حتى لو لم تُعجبك كهدية».

أمّا في مدغشقر فيقولون: «النصيحة هي كالضيف الغريب، إذا

رُحِبَ به أقام ليلته، وإذا لم يُرْحَبَ به غادر في نفس الليلة!»!
ويقول ناصح أمين لمنصوحه الذي لم يأخذ بنصائحه السابقة:
«وددتُ أن أعطيك نصيحةً، لكنني تذكرتُ أنه لديك الكثير من
النصائح غير المستعملة، المتبقية من العام الماضي!»!
ولو تدبّر العاقل بالنصيحة لرأى أن كلَّ النصائح مفيدة حتى
التي اعتبرها ذات جهل وعناد أنها ليست كذلك.

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتناصحين المؤمنين ومن عباده
الصالحين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

منشورات المجمع الإسلامي الثقافي